

ظاهرة الإعراب من توخي المعنى إلى الصناعة

د. الطاهر نعيجة

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

ملخص:

الاعراب من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب، فهو الفارق بين المعاني المتكافئة، ويرتبط الإعراب بالمعنى بعلاقة وطيدة حتى قيل: الإعراب فرع المعنى، وليس أدل على علاقة الاعراب بالمعنى من تفحص آيات القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم الأدب شعرا ونثرا. اذ سنجد أنّ فهم المعنى يتوقف على الإعراب، وأنّ إغفال الاعراب في مثل هذه الآيات يوقعنا في تحريف لمعانيها، لذلك نعرض هذه الظاهرة التي هي سمة من أهم سمات العربية الفصحى من حيث حقيقتها وقيمتها المعنوية.

Abstract:

Grammatical analysis is an Important discipline specific to arabs because it makes the difference between synonyms. Semantics is closely related to grammatical analysis to the point that it is safe to assume that grammatical analysis is a branch of semantics. Is no better than leaf the korqnic verses, honest conversations and literature in prose and in poetry, which clearly shows this relationship. So we find that understanding of meaning depends on the grammatical analysis, and the omission of this analysis may train us to distortion of their meanings. Accordingly, we examine this phenomenon that characterizes classical Arabic in its two aspects: reality and semantic value.

مفهوم الإعراب: أورد المعجم الوسيط معاني مادة "عرب" على النحو الآتي:

- أعرب فلان: كان فصيحاً في العربية وان لم يكن من العرب.
- وأعرب الكلام: بيّنه وأتى به وفق قواعد النحو، وطبق عليه قواعد النحو.
- وأعرب بمراده: أفصح به ولم يوارب.
- وأعرب عن حاجته: أبان.

- وأعرب الاسم الأعجمي : نطق به على منهاج العرب.
- وأعرب في البيع : أعطى العربون.⁽¹⁾
- وجاء في معجم مقاييس اللغة ما نصه: (العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها الإبانة والإفصاح، والآخر النشاط وطيب النفس، والثالث: فساد في جسم أو عضو⁽²⁾).
- وللإعراب عدة معان لغوية تدور حولها في (لسان العرب) وهي:⁽³⁾
- الإفصاح والإيضاح: يقال: أعرب ما في ضميرك أي أبّن.
- المرأة العروب: وهي المرأة الضاحكة المتحبة إلى زوجها العاشقة له المظهرة له ذلك وبذلك فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ الواقعة/ 37.
- العروبة: وتطلق على يوم الجمعة، وذلك أن يوم الجمعة أظهر أمرا من بقية أيام الأسبوع كما فيه من التأهب لها والتوجه إليها وقوة الإشعار بها.
- الفحش من القول: فالإعراب عند الأزواج ما يُستفحش من ألفاظ النكاح والجماع، فقليل: والعرب في عفاة وإعراب.
- الفساد: يقال: عربت معدة الفصيل أي فسدت، وعرب الجرح عرّباً، أي تقيح وفسدو معنى قولك أعربت الكلام: أزلت عربيه وهو فساده، كقولك: أعجمت الكتاب إذا أزلت عجمته، وهذه الهمزة تُسمّى همزة السلب.

(1) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الأمواج بيروت ط 2 1990م مادة (ع رب).

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، 1999، مادة (ع رب).

(3) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1. 2003 م مادة (ع رب)

- التعريب: اتخاذ فرس عربي، كما أن التعريب في اللغة: اتخاذ المنهج العربي، ومنه عربت الفرس تعريبا إذا بزغته، وذلك أن تنسف أسفل حافره، ومعناه أنه قد بان بذلك ما كان خفياً من أمره بظهوره إلى مرآة العين بعد أن كان مستورا.

وأما الإعراب في اصطلاح النحويين فله عندهم تعريفات مختلفة تُوضّح حقيقه ، وماهيته ، وهو تغيّر العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل⁽¹⁾. ويذكر ابن هشام ت 761هـ أن الإعراب أثر ظاهر أو مقدّر "يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكّن والفعل المضارع"⁽²⁾. ويعرفه ابن جني تـ 392هـ بقوله: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول"⁽³⁾. وقول سيبويه (ت 180هـ) "الرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب، وحروف الإعراب للأسماء المتمكّنة وللأفعال المضارعة ولأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة والتاء والياء والنون"⁽⁴⁾ كما عرّفه ابن السراج (ت 508هـ) بقوله: "الإعراب أنبعاق بآخر الكلمة حركات ثلاث: ضم وفتح وكسر، أو حركتان فيهما فقط، أو حركتان وسكون، باختلاف العوامل، فإذا زال العامل، زالت الحركة أو السكون"⁽⁵⁾.

(1) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1960م ج1، ص 46.

(2) ابن هشام، شرح شذور الذهب، د.ت، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، ص 33.

(3) ابن جني، الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي القاهرة، ج1 ص 89.

(4) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت، ط 1 د.ت. ج1 ص 13.

(5) ابن السراج، الموجز في النحو، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1965م، ص 28.

و نستخلص من جميع ما تقدّم أن الإعراب:

- هو الرفع والنصب والجر والجزم.

- هو تغير أو اختلاف أواخر الكلمة المعربة .

- هو الأثر الظاهر أو المقدّر في آخر الكلمة المعربة .

بين الإعراب والنحو: يُسوّي الأستاذ إبراهيم مصطفى بين الإعراب والنحو عند تعريفه للنحو بقوله: "يقول النحاة في تحديد النحو : إنّه علم يُعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً، فالنحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات ، وعلى تعرف أحكامها ، قد ضيّقوا من حدوده الواسعة"⁽¹⁾.

وإنصافاً للحق ، فإن النحاة جميعهم لم يقصروا النحو على الإعراب والحركات ، فابن جني ت392 هـ يقول في حدّ النحو: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه وغيره ، فالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شدّ بعضهم عنها رُدَّ إليها"⁽²⁾.

لقد جمع ابن جني في هذا النص بين لونين من الدراسات اللغوية : صرفية وتتّضح في التثنية والجمع والتصغير، ونحوية وتتّضح في الإضافة والإعراب والتركيب . فالإعراب لا يساوي النحو، بل هو عنصر من عناصره ، فالنحو كلّ والإعراب جزء من هذا الكلّ ، ولعلّ السبب في تعريف بعض العلماء النحو بأنه علم الإعراب ، أن الإعراب كان سبباً في نشأة علم النحو . فقد رُوي أن أبا الأسود الدؤلي ت69هـ سمع

(1) إبراهيم مصطفى : إحياء النحو ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د ت ، ص8

(2) ابن جني ، الخصائص ، ج1 ص34

رجلا يقرأ (إِنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) التوبة/ 23 فقال: "لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به نحو هذا ، فوضع علم النحو⁽¹⁾. ومنه أيضاً ما روي من أنه جاء إلى زياد بن أبيه قومٌ فقالوا : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنون ! ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس العربية"⁽²⁾. وقيل إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسنُ السماء. قال: أي بنيّه، نجومها. فقالت: إني لم أرد شيئاً منها أحسن، وإنما تعجبت من حسنّها، فقال: إذن قولي: ما أحسنَ السماء، فحيثُ وضع كتاباً⁽³⁾. فهذه اللحن تختص بضبط آخر حرف من الكلمة وهو الإعراب ، ولا تختص مثلاً ببنية الكلمة أو تصرّيفها أو وضعها بالنسبة لباقي أجزاء الجملة أو تعريفها أو تنكيرها ، بل هي تختص بشيء واحد وهو الإعراب.

الإعراب أبرز خصائص العربية: لكلّ لغة من اللغات خصائص تمتاز بها عن غيرها ولا خفاء أن اللغة العربية أمتن تركيباً، وأوضح بياناً، وأعذب مذاقاً عند أهلها . وتتمتع العربية بثراء عزّ نظيره في معظم لغات العالم، وليس أدلّ على اتساعها من استقصاء أبنية الكلام ،وحصر تراكيب اللغة، وهو ما توصل إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي ت175هـ. ويذكر جلال الدين السيوطي ت911هـ أن لغة العرب أفضل

(1) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الآفاق العربية ، القاهرة 2003 ص15.

(2) القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت 2009 ج1 ص 50.

(3) المصدر نفسه ج1 ص 51.

اللغات وأوسعها، ويورد مزايا يراها دليلاً على أفضليتها⁽¹⁾. ولم يكن أهل العربية بأقل حماساً من غيرهم في رصد خصائص لغتهم، فهي أرقى اللغات العالمية - في نظرهم - كما أنها أبلغ ما حرك به الإنسان لسانه، وهي تمتاز بمرونتها وسعة اشتقاقها.

فالإعراب من أخصّ خصائص العربية التي لها قواعدها في تنظيم بناء الجملة، وتحديد وظائف الكلمات فيها، وتسهيل دقة الفهم بضبط أواخر الكلمات، ولعلّ الإعراب التي هو بها، وبتناوله كل أجزاء الكلام نادراً في غير العربية⁽²⁾.

وفي ذلك يقول بعض الباحثين: "مع شيوع أنواع من الإعراب في بعض الكلمات الهندية الجرمانية كاللاتينية وبعض اللغات السامية كالعبرية والحبشية وبعض اللغات القديمة كاللغة المصرية على عهد الفراعنة، نرى الإعراب العربي وفي مقرر القواعد يعمّ أقسام الكلام: أفعالا وأسماء وحروفاً حيثما وقعت بمعانيها من الجمل والعبارات⁽³⁾. ولما أصابت العربية حظاً من التطور، أضحت الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الخطأ. فالعربية الفصحى أمست من بين سائر اللغات الأخرى بخصائص تفردت بها، تجلت فيها مكانتها وقدرتها على التعبير، فشرّفها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم.

التأليف في الإعراب: انصرف النحاة بفعل العادة والتقليد إلى دراسة النحو النظري من جميع وجوهه، والتوقف الطويل عند المعرب والمبني وألقاب كل منهما

(1) السيوطي: المزهري. تحقيق محمد جاد المولى بك وآخرين. المكتبة العصرية بيروت 1987م ج1، ص321.

(2) نايف معروف: خصائص العربية وطرق تدريسها. دار النفائس بيروت. د. ت. ص48

(3) عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة. مطبعة فحيمر. القاهرة د. ط. 1960م ص30.

وعلامات الإعراب أو حركاته ، والجمل التي لها محل من الإعراب ، والتي ليس لها محل من الإعراب، وغير ذلك من المسائل التي أشبعها النحاة بحثا وشرحا وتفصيلا ، على أن هذا لا يعني أنه لم تُولف كتب في إعراب كلام العرب ، فربما كانت قد أُلِّفت كتب من هذا القبيل ، والدليل على ذلك أن شارحي المعلقات وغيرها من المجاميع الشعرية كانوا يتعرضون للنواحي الإعرابية بين الحين والحين ، كلما استدعى الأمر ذلك ، غير أن هذا النشاط كان نادرا على ما يبدو لنا ومن هذه القلة كتاب : توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب "لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت384هـ . ويبدو من ذلك أن التأليف في الإعراب كان محصورا في القرآن الكريم ، وبخاصة أن عددا من النحاة أُلِّف في إعراب القرآن كتبنا نذكر منها ما يلي :

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ت311هـ
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ت338هـ
- تفسير مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ت437هـ
- إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت538هـ
- إعراب القرآن لابن الأنباري ت577هـ
- إعراب القرآن للسقاسي ت577هـ
- إعراب القرآن للسمين الحلبي ت756هـ
- إعراب القرآن لمؤلف مجهول⁽¹⁾.

(1) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مطبعة المعارف 1943 > 1 ص 121.

ويلاحظ على هذه الكتب أنها غير مقصورة على الإعراب وحده، ففيها الصرف والنحو واللغة والخلاف والقراءات وغير ذلك من الموضوعات وإن كانت تدور في مجملها على الإعراب وقضاياها .

دوافع التأليف في إعراب القرآن: عندما نتساءل عن السبب في كثرة المؤلفات التي كُتبت في إعراب القرآن نجد أنها تتمثل في ما يلي (١) (٢).

1- إنَّ القرآن كتاب الله ، و أي دراسة تدور حوله إنما كان لها غاية دينية وهي التعبّد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

2- النهضة العلمية الشاملة التي سادت العصر العباسي ، عصر ازدهار الحضارة الإسلامية والتنافس بين مختلف الأقاليم الإسلامية في تدوين الثقافة العربية .

3- إنَّ كثيرا من القراء كانوا من النحاة ، فكان طبيعيا أن يحاول كل منهم تأليف كتاب في إعراب القرآن حتى يوجه القراءة التي يقرؤها من حيث الإعراب، ويخرجها على نحو يوافق أصول العربية .

4- توجد هناك آيات كثيرة لا يُفهم معناها إلّا بإعرابها، فكان لابد أن يكون الإعراب ملازما للتفسير وأن يهتم به اهتماما يبعد اللبس عن المعاني القرآنية .

5- ظهور الملكات العقلية القديرة عند النحاة فمن المعروف أن الإعراب مجال واسع يحتاج إلى العقل الفذّ ، والذكاء النادر والقدرة على التخريج مع عدم الخروج عن المعنى أو أسباب النزول .

(١) أحمد سليمان ياقوت ، ظاهرة الإعراب في النحو العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1980 ص 239.

6- فضل القرآن الكبير على العربية حيث فتح لها أبوابا كثيرة من فنون القول، فعولجت بها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل.

7- اعتماد القرآن الكريم في الاحتياج، وينصّ علماء اللغة صراحة على أن القرآن سيد الحجج، وأن قراءته كلها مما لا يصح ردّه ولا جدال فيه⁽¹⁾.

أنواع الإعراب: لا يجري الإعراب على نسق واحد، ولا ينحصر في أصل واحد، فهو يجري على حالات وشروط تختلف من موقع إلى آخر ومن كلمة إلى أخرى، فالإعراب أنواع ثلاثة: فقد يكون ظاهرا أو مقدّرا أو محلا⁽²⁾.

1- الإعراب الظاهر: وهو الإعراب الأصلي الذي يجري على معظم كلام العرب الذي تتوفر في آخره الحروف الصحيحة والذي لا يمنع حركات الإعراب من الظهور على أواخره مانعاً. ومعظم الكلام العربي من هذا النوع مما يعني أن الإعراب الظاهر هو أكثر أقسام الإعراب سيرورة وانتشارا في الكلام العربي، لأنه القسم الأصلي من بين تلك الأقسام، وليس له شروط خاصة كغيره من أقسام الإعراب، ولا مصطلحات تميزه عن غيره أكثر من التسمية التي يعرف بها.

2- الإعراب التقديري: إنّ حركات الإعراب لا تظهر في كل المواقع، فقد يحول حائل دون ظهور هذه الحركات، كأن يكون آخر الكلمة مما ينتهي بأحد

(1) علي عبد الواحد وافي / فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة: د. ت. ص 118

(2) ينظر:

- عبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة ج1
2004م ص 80 وما بعدها

- عباس حسن، النحو الوافي ج1 ص 72 وما بعدها

- ابن يعيش: شرح المفصل. د. ت. مكتبة المتنبّي. القاهرة. د. ت. ج3 ص 84.

أحرف العلة، وأحرف العلة ثلاثة (الألف والواو والياء) هي السبب الوحيد لتختلف ظهور حركات الإعراب .

3- الإعراب المحلي : يختص بالألفاظ المبنية التي تلزم أواخرها حركة واحدة في نحو: حضر سيبويه، فسيبويه لفظ مبني على الكسر في محل رفع فاعل، وكذلك قرأت سيبويه، يكون سيبويه مبنيًا على الكسر في محل نصب مفعول به .

و يوازن الرضي الاستراباذي (ت 684 هـ) بين المعرب تقديرا والمعرب محلا فيقول: "إن قيل أي فرق بين المعرب والمبني في الحكم المذكور، فإن المبني أيضا يختلف تقديرا، وذلك في أحد قسميه أعني المركب منه مع العامل نحو، جاءني هؤلاء، فهو مثل: جاءني قاضٍ، ويجب: إن المعرب يختلف آخره تقديرا أي يُقدّر الإعراب على حرفه الأخير، ولا يظهر إما للتعذر بما في المقصور، أو للاستثقال كما في المنقوص، بخلاف المبني فإن الإعراب لا يقدر على حرفه الأخير، إذ المانع من الإعراب في جملته وهو مناسبته للمبني لا في آخره نحو: هؤلاء وأمس، وقد يكون في آخره أيضا كما في جملته نحو هذا، فلهذا يقال في نحو هؤلاء أنه في محل الرفع، أي في موضع الاسم المرفوع بخلاف المقصور في: جاءني الفتى فإنه يقال: إن الرفع مقدر في آخره⁽¹⁾.

علامات الإعراب: وهو أربعة أنواع: الرفع، والنصب، والجر، والجزم⁽²⁾.

(1) الرضي الاستراباذي: شرح الكافية . دار الكتب العلمية . بيروت . 1979 ج1 ص 33

(2) ينظر :

- يحي عطية عابنة، تطور المصطلح النحوي، عالم الكتب الحديث، عمان ط 1، 2006م، ص52
- عوض حمد القوزي، المصطلح اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص37.

1- الرفع : علامة الرفع عند النحاة هي الضمة وغيرها من العلامات الفرعية كالألف في المثني والواو في الأسماء الستة وجمع المذكر السالم ، والنون في الأفعال الخمسة، والذي يبدو أنّ هذه التسمية ترجع إلى نظرهم إلى الظاهرة من الناحية الصوتية في عملية النطق التي تتعرض لها الحركة المضمومة: لأن المتكلم يرفع حنكه من الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفثيه⁽¹⁾.

2- النصب:النصب يدخل الأسماء والأفعال، وعلامته الفتحة والعلامات الفرعية الأخرى قال الزجاجي ت 684 هـ "وللنصب خمس علامات : الفتحة والألف والياء وحذف النون والكسرة"⁽²⁾. وإنما سمي النصب نصبا نظرا لمعناه الصوتي ؛ لأن المتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه فيبين حنكه الأسفل من الأعلى ، فيبين للناظر إليه فأنه نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه⁽³⁾.

3- الجر : وعلامته الكسرة ، وله تسميتان مشهورتان وهما الجر والخفض ، وقد وجد النحاة مبررا لتسمية الجر جرا ، فقالوا : إنما سمي الجر جرا لأن معناه الإضافة أو الجذب كما يقول ابن منظور⁽⁴⁾. وقد وجد النحويون أن حروف الجر تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك : مررت بخالد ، فالباء أوصلت مرورك إلى خالد ، فعلى هذا ، فقد وجدوا اتساقا بين معناه اللغوي وما ذهبوا إليه من اكتشافهم لوظيفة الحروف المسماة بـ: "حروف الجر". والذين سموه خفضا فلإنعامهم النظر في الناحية

(1) الزجاجي، الايضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت، د 1984، ص 93.

(2) المصدر نفسه، ص 4

(3) المصدر نفسه 93 .

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ج.ر.ر).

الصوتية كما فعلوا في مصطلحي الرفع والنصب ، ففسروه بقولهم : لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين⁽¹⁾.

4- الجزم : وعلامته السكون أي حالة انعدام الحركة . والجزم في الأصل هو القطع يقال جزمت الشيء جزمته وبترته وجذذته وصلمته وفصلته وقطعته بمعنى واحد، فكأن معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة ، وإنما أدرج في أقسام الإعراب لأنه يزول بزوال العامل الذي أحدثه . فإذا قلنا (لر يضرب) ، فإن السكون التي على آخر الفعل (يضرب) هي المسببة عن العامل (لر) فهي علامة إعراب حتى إذا زال هذا العامل زال أثره ، وعاد الفعل المضارع إلى إعرابه الأصلي وهو الرفع وذلك لوقوعه تحت تأثير عامل معنوي وهو وقوع الفعل في موقع الأسماء . والجزم من المصطلحات القديمة التي بدأ استعمالها منذ وقت مبكر وقد ظل استعماله شائعاً عند جميع النحويين⁽²⁾.

الشدوذ في علامات الإعراب : وقد وردت نماذج مما جاء شاذاً من علامات الإعراب خلافاً للقاعدة النحوية . فكان شغل النحاة الشاغل أن يتمحلوا الأعذار ويتكلفوا التخریجات للدفاع عن هذه الحالات الإعرابية الشاذة ، على الرغم من أن العرب قاسوا على الكثير والشائع ، جعل هؤلاء النحو منبثقا من القليل والنادر⁽³⁾،

(1) الزجاجي، الايضاح، ص 93.

(2) سيبويه ، الكتاب ، ج 3 ص 85، 87 ، 88، 91، 98.

(3) جميل علوش ، الإعراب والبناء ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط 1
1997م ص 152،

فثمة آيات قرآنية توقّف النحاة عند ما تتضمنه من تعارض مع النحو ، ومن تلك الآيات :

- قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ المائدة 73
 - قال تعالى ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ النساء 162
 - قال تعالى ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ الفتح 16
- فالقياص أن يقال في الأولى (والصابئين) وفي الثانية (المقيمون) وفي الثالثة (أو تسلموا)، وحسبنا أن نصرب مثالا على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ طه/ 63 فقد كان لابن هشام الأنصاري تـ761 هـ تخرجات لـ (إنّ) المشددة التي يجب إعمالها فكان الظاهر الإتيان بالياء ، وقد أجيب عنها في أوجه :
- الأول: أن لغة الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزيد وكنانة وآخرين استعمال المشئى بالألف دائما .

الثاني : أن (إن) بمعنى (نعم) لا تعمل شيئا ، وهذان مبتدأ ، وساحران خبر للمبتدأ محذوف أيّ لهما ساحران ، والجملة خبر هذان ، ولا يكون (الساحران) خبر هذان ، لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ .

الثالث: إن الأصل : إن هذان لهما ساحران ، فالهاء ضمير الشأن وما بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع رفع على أنّها خبر إنّ ، ثم حُذف المبتدأ وهو كثير ، وحُذف ضمير الشأن ، كما حُذف من قوله ﷺ : "إِنَّ مِنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ" .

الرابع: أنه لما تُنْيَ هذا اجتمع ألفان : ألف هذا ، وألف التَّشْنِية ، فوجب حذف واحدة منهما ، لالتقاء الساكنين ، فمن قَدَّر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التشنية قلبها في الجر والنصب ياء . ومن قَدَّر العكس لم يغيّر الألف عن لفظها .
الخامس: أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جُعل كذلك في التشنية ليكون المتنّى كالمفرد لأنه فرع عليه⁽¹⁾.

دعوات لإسقاط الإعراب : انبرت طائفة من المستشرقين والعرب الذين تربّوا في أحضانهم لمهاجمة الإعراب والدعوة إلى إلغائه ، والزعم بأنه مخلوق مصطنع لم يولد مع العربيّة ، ولم يرافقها في بدء ظهورها . وإنما ابتدعه نفرٌ من النحاة في أواخر القرن الثاني الهجري ، إلى غير ذلك من الادّعاءات التي تفوح منها رائحة العصبية وتتجلّى فيها ملامح الرّيبة⁽²⁾. ولموقف هؤلاء من الإعراب مسلكان مختلفان ، كلاهما يؤيّد الآخر ويشدّ أزره :

أحدهما : يبت السّبّهات حول بدء ظهور الإعراب فيزعم أنه مختلق مصطنع .

(1) ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ص 45

(2) ينظر للتوسع في هذه الآراء :

- محمد أسعد النادري ، فقه اللغة ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 333 وما بعدها .
- عصام نور الدين ، محاضرات في فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص 45 وما بعدها

- والآخر : يطالب بإلغائه ، وتجريد الكلمة منه ، والاستغناء عنه بتسكين أو آخر الألفاظ . وقد لخص الدكتور إميل بديع يعقوب مزاعمهم فيما يلي⁽¹⁾:
- 1- إن هناك كلمات تتفق حركاتها مع اختلاف وظائفها النحوية ، فالحال والتمييز والمفعولات الخمسة كلها منصوبة.
 - 2- إن هناك صيغا كثيرة تختلف في المعنى وإعرابها واحد ، كما في قولك : إنَّ زيدا أخوك ، ولعل زيدا أخوك ، وكأنَّ زيدا أخوك ، فحركة "زيد" في هذه الأساليب جميعا واحدة والأسلوب يختلف .
 - 3- إن هناك كلمات لها الوظيفة اللغوية نفسها ومع ذلك تختلف حركاتها الأخيرة ففي قولنا : إنَّ الرجل في البيت ، للرجل أخ في الجامعة ، تختلف حركاتها مع أنها مسند إليه فيها جميعا .
 - 4- إن هناك صيغا كثيرة يختلف إعرابها ومعناها واحد ، " تقول : ليس زيد بجبان ولا بخيل أو ولا بخيلا ، وما زيدٌ قائما أو قائم ، وعندي رطلٌ عسل أو عسلا ، باختلاف إعراب "بخيل" و "قائم" و "عسل" والمعنى واحد.
 - 5- لو كانت حركات أو آخر الكلمات دوالٌ على معاني مختلفة لما جاز اختلافه في القراءات القرآنية ، ولما جاز كذلك أن يوقف على الكلمات بحذف الحركة الأخيرة ، أي بالسكون كما هو معروف في ظاهرة الوقف في العربية.

(1) إميل بديع يعقوب ، من قضايا النحو واللغة ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ط 1 ، 2009

6- إنَّ من لم يتَّصل بالنحو أيَّ اتَّصال ، يفهم تمام الفهم إذا نحن قرأنا له خبرا في أحدئ الصحف ، وتعمدنا الخلط في إعراب الكلمات.

7- إنَّ ما يدل على أنَّ الإعراب له صلة بالموسيقى والغناء والشَّعر ، أن الرِّجال اللبناي الذي لا يعرف الإعراب ، يلجأ كثيرا إلى إقحام حركة على آخر حرف من الكلمة لسهولة اللفظ ولجمال الموسيقى .

8- لو كان الإعراب ضروريًا للفهم والتفاهم لَبَقَّت الحياة عليه⁽¹⁾،⁽²⁾.
والواقع أن الإعراب يمتُّ إلى السَّليقة اللغويَّة بصلة كبيرة جدًّا ، إن لم يكن هو السليقة اللغوية ذاتها ؛ فلغة الشَّعر ، ولغة النثر في العصر الجاهلي كانت معربة ، وأنَّ الشاعر أو النَّثر لم يعرف قواعد الإعراب فيجري شعره أو نثره على منوالها ، وإنما كان إذا شعر أو نثر تكلم بالسليقة والطبيعة⁽²⁾.

الإعراب والمعنى: يعتبر الإعراب من الوظائف اللفظيَّة والمعنوية للمفردات والجمل ، وعلاقة بعضها ببعض ، أي أنه مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية في التَّركيب النحويّ . فهو يوضِّح المعنى ، ويبين الغرض ، ويشير إلى البلاغة ، ويومئ إلى جمال التركيب ، وحسن الصياغة ، وهذه كلها مواطن الإعجاز في القرآن الكريم .

وقد جعل عبد القاهر الجرجاني ت471 هـ الإعراب أساساً نظرية " النظم " فهو ينسب عليها في أثناء كتابه "دلائل الإعجاز" بصور مختلفة تهدف إلى معنى واحد وهو أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل

(1) أنيس فريجة ، نحو عربية ميسرة دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1973 ، ص 184.

(2) عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 2006 ، ص 265

على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه الذي نهجت فلا تزيع بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ⁽¹⁾. وواضح من قوله إن معاني النحو هي أصل النظم الذي هو الأداة التي يعرف بها المعنى في تقنياته المختلفة .

وقد أكد أحمد بن فارس ت395هـ أهمية وظيفة الإعراب في التفريق المعاني فقال : "فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني ، ألا ترى أن القائل إذا قال : "ما أحسن زيد" لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم والإعراب ، وكذلك إذا قال : ضرب أخوك أخانا ، ووجهك وجهه حرّ ، ووجهك وجهه حرّ ، وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه ⁽²⁾. ويرى العكبري ت616هـ أن "الكلام لو لم يعرب لالتبست المعاني ، ألا ترى أنك إذا قلت: ضرب زيد عمرو ، وكلم أبوك أخوك ، لم يعلم الفاعل من المفعول ، وكذا قولهم: ما أحسن زيد، لو أهملته عن حركة مخصوصة لم يعلم معناه، لأن الصيغة تحمل التعجب والاستفهام والنفي ، والفارق بينهما هو الحركات ⁽³⁾."

و الإعراب كما يقول أبو حيان التوحيدي ت414 هـ : "إن الكلام كالجسم والنحو كالحليّة ، وإن التمييز بين الجسم والجسم إنما يقع بالحلي القائمة والأغراض الدالة فيه ، وإن حاجته إلى حركة الكلمة يأخذ وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من

(1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الأعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، طبعة المديني ، القاهرة ، ط3 ، 1992 .

(2) ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة ، ص77.

(3) العكبري ، مسائل خلافية في النحو ، تحقيق عبد الفتاح سليم ، مكتبة الآداب ، القاهرة 2004 ، ص71.

الصواب كحاجته إلى نفس الخطاب⁽¹⁾. وليس أدل على علاقة الإعراب بالمعنى من تفحص كلام العرب من المنشور والمنظوم، وآيات القرآن الكريم، والحديث الشريف، إذ نجد أن فهم المعنى يتوقف على الإعراب، وأن إغفال الإعراب في بعض الآيات القرآنية يوقعنا في تحريف لمعانيها.

ومثال هذا، قول القائل: "هَذَا قَاتِلُ أَخِي" بتنوين (قاتل)، وقوله "هَذَا قَاتِلُ أَخِي" دون تنوين (قاتل) على أنه مضاف، ومعنى الأول أنه لم يقتله، ومعنى الثاني أنه قتله وعُرف به.

ومثال هذا أيضا "هُنَّ حَوَاجٌ بَيَّتَ اللَّهُ" بالتنوين إذا كنَّ قد حججن، و"هُنَّ حَوَاجٌ بَيَّتَ اللَّهُ" بالإضافة إذا أردن الحج.

ومثال: "هَذَا غُلَامًا أَحْسَنُ مِنْهُ رَجُلًا" يريدون الحال في شخص واحد، و"هَذَا غُلَامٌ أَحْسَنُ مِنْهُ رَجُلٌ" فهما شخصان.

ومثال "جَاءَ الشَّتَاءُ وَالْحَطَبُ" بنصب (حطب) على أنه مفعول معه ولم يُرد أن الحطب جاء، وإنما أراد الحاجة إليه، فإذا أراد مجيئها قال: (الحطبُ) بالرفع.

ومثال "كَمْ رَجُلًا رَأَيْتَ" في الاستخبار، و"كَمْ رَجُلٍ رَأَيْتَ" في الخبر يراد به التكثير، ونضير هذا كثير في كتب النحاة⁽²⁾.

ومن منظوم العرب ما جاء في قول المتنبي: (وافر)

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، دت، ص181.

(2) محمود عكاشة، التحليل اللغوي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011، ص153.

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا

تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالًا

فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلاً

وَسَيَرُ الدَّمْعِ إِثْرُهُمَا إِنْهَمَالًا⁽¹⁾

فقوله " فكان عيسه معليهم " معطوف على " تولوا بغتة " دون ما يليه من قوله " ففاجأني " لأننا إنعطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ، وذلك لأنه يدخل في معنى (كأن) وهذا يؤدي إلّيان يكون مسير عيسهم حقيقةً ويكون متوهمًا كما كان تهيب البين كذلك⁽²⁾.

ومن ذلك قول امرئ القيس : (طويل)

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ

كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلَ مِّنَ الْمَالِ

وَأِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُّؤْتَلٍ

وَقَدْ ذُرِّكَ الْمُجْدَ الْمُؤْتَلِ أَمْثَالِي⁽³⁾

فإنما رفع (قليل) ؛ لأنه لم يجعل القليل مطلوباً ، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً ، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى⁽⁴⁾.

(1) أبو الطيب المتنبي ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، طبعة جديدة ، 2000 ، ص 93.

(2) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 244.

(3) امرؤ القيس ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998 ، ص 145.

(4) سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ص 79.

ومن ذلك ما يراه العلماء في قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة / 196 حيث قرأت جماعة (والعمره) بالنصب ، وعليه ذهب بعض العلماء إلى أن العمره واجبة كالحج على دلالة الاقتران ، كما يرى الشافعي وقال به القرطبي ، ومن قرأ (العمره) بالرفع يرى عدم وجوب العمره بل هي مندوبة ، وهو رأي الجمهور⁽¹⁾.

ومن الشواهد أيضا الأهمية التي تتجلى للعلامة الإعرابية في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر / 28 ، فعلى آخر لفظ الجلالة (الله) فتحة تدل على أنه المفعول به ، أي هو الذي يخشاه العلماء ويخافونه سبحانه ، والضمه على آخر كلمة (العلماء) تدل على أنها الفاعل ، ولو تبدلت مواقع الفتحة والضمه لفسد المعنى .

وقوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة / 30 ، بتنوين "عزير" ، وعلى هذا ف"ابن الله" خبر المبتدأ (عزير) ، وقد أثبت هذا وجود التنوين في (عزير) وإثبات همزة الوصل في (ابن) ، فسقوط التنوين يعني أن (ابن) صفة بين علمين مثل: محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله ، ويصبح تقدير الكلام في حالة سقوط التنوين : عزير بن الله معبودنا ، وهذا باطل ؛ لأن مراد ادعاء اليهود أن ينسبوه إلى الله تعالى فالمراد إثبات النبوة مثلما قال النصارى : المسيح ابن الله غلوا فيه⁽²⁾.

وقال عز من قائل ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة / 3 . نجد المعنى هو الذي يقيم الإعراب ، فظاهر الجملة يوهمك بجر كلمة (رسوله) بالعطف على "المشركين" ، ولكن المعنى يأبى هذا الوجه الإعرابي الذي يفسد المعنى ، فالله تعالى لا يبرأ من نبيه ﷺ ، والصواب : (والرسول بريء أيضا من المشركين) أو هو معطوف

(1) تفسير القرطبي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1965 ، ج 2 ، ص 368.

(2) أبو إسحاق الزجاج ، الإيضاح ، ص 112 .

على الضمير في (بريء)، وقيل (رسوله) معطوف على موضع الابتداء، ويقرأ بالنصب على ⁽¹⁾ اسم إن، والحرفية شاذة وهو على القسم، ولا يكون عطفا على المشركون لأنه يؤدي إلى الكفر.

وقد التفت الزجاج (ت 340هـ) لبيان المعنى من خلال التوجيه الإعرابي عند وقوفه في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۚ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام / 94 فقال: "إذا قرأت بينكم بالنصب والرفع؛ ففي الرفع معناه لقد تقطع وصلكم وفي النصب يكون المعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم"⁽²⁾

ويؤكد الدكتور إبراهيم بركات على أن العلاقة قائمة بين العلامة الإعرابية والمعنى حيث يدور المعنى مع دورانها قائلا: "ومن القضايا التي تربط منها بين العلامة الإعرابية والمعنى قضية الخلاف وأثره في التوجيه الإعرابي، حيث يتغير الإعراب بالتغير الدلالي المفهوم من كلمة واحدة، أي يرتبط الإعراب بتحديد العلاقة الدلالية المفهومة من جملتين ترتبطان ببعضهما"⁽³⁾

الخلاصة: إن إعراب الكلام كلما ارتقى ارتقت معانيه عنده وعلت فصاحته؛ ففصاحة الإعراب علامة على فصاحة الكلام، ومن ثم فإننا لا نكاد نجد موضعا

(1) محمود سليمان ياقوت، فن الكتابة الصحيحة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995، ص 73.

(2) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1988، ج 2، ص 273.

(3) إبراهيم بركات، العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى في كتاب سيبويه، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1983، ص 103.

يعرض فيه الإعراب لشيء من القرآن الكريم إلا جعل المعنى نصب عينيه، لذا فإن المتأمل لمصطلحات الإعراب وحركاته يجد أنها لم توضع مصادفة، بل قصد إلى العلاقة فيها بين المعنى والإعراب، ومن ثم يمكننا القول: إن اللغة العربية كيانها الإعراب، بل هو عمودها الفقري الذي تقوم عليه.

فهو من أخص خصائصها، وهذه الظاهرة ليست حلية لفظية أو علامات لا تفيد معنى، فالارتباط وثيق بين الإعراب والمعنى، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، كما هيأ الإعراب للمتكلم الحرية، فله التقديم والتأخير اعتماداً على ظهور المعنى كتقديم الخبر في مثل قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات/22، وتقديم المفعول به على عامله كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/5.